

# إتحاف الأخوات ببيان حكم الحملات

للشيخ إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيدى

حفظه الله تعالى

«رسالة عاجلة إلى المشاركات في الانتخابات»

## **تنبيه:**

كتبت الآيات المستشهد بها طبقا لرواية حفص عن عاصم، وقصدنا في كتابتها عدم مراعاة الرسم العثماني تسهيلا على جمهور القراء. ومعلوم أن كتابة بعض آيات القرآن على قواعد الإملاء العربي جائزة.

بسم الله الرحمن الرحيم  
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
محمد خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين  
وعلى آله وأصحابه أجمعين  
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد، فهذه نصيحة مبنية على الكتاب والسنة الصحيحة، أُرْجِيها إلى المسلمين عموماً، وإلى المترشحات، والمشاركات من قريب أو من بعيد في العمليات الانتخابية الحالية خصوصاً...

بل كثير منها موجه أيضاً إلى الرجال، بل هي كلها موجهة إليهم، لأن لهم النصيب الأوفر من التنظير والتأسيس والمشاركة الميدانية، ولأن الله تعالى جعلهم قوامين على النساء، بنص الوحي المنزل، فهن أمانة في أعناقهم زوجات وبنات وأخوات... فهم مُسْتَرْعُونَ فيهنّ، وهم مسؤولون غداً عن رعيتهن.

وقد كنت قبل اليوم لا أتصور تقديم هذه النصيحة لامرأة، إنما كنت أُعِدُّها وأمثالها لكل رجل جلد حريص على الجاه والمال، محب للشهرة والظهور، مُوَلَّعٍ بالاجتماع بالناس آناء الليل والنهار، غير آبهٍ بحكم شرعي أو خلق مَرْعَى، ولكن - والله - فوجئت بأنباء أشتات تردّ على بترشح فلانة وفلانة من أهل بلدتنا، ولم أكن آخذ ذلك مأخذ الجد، بل كنت أحسبه ضرباً من الاستثارة، أو التنكيت، أو التشويه، بل ضرباً من الخيال المستحيل.

وبعد أيام قلائل وجدت أن الأمر يقين لا شك فيه. وقديماً قال أبو العلاء المعريّ:

ومن صَجِبَ اللَّيَالِيَّ عَلَّمَتْهُ خِدَاعَ الْإِلْفِ وَالْقِيلَ الْمُحَالَا  
وغيّرت الخطوب عليه حتى تُريه الذّرّ يحملن الجبالا

وبما أن هذه حكمة باقية فقد رأينا نحن في هذا الزمان مصداق ما ذكره المعريّ، من خداع الإلف، والقيّل المحال، وتغيير الخطوب لأحوال الناس والدهر، وحمل الذّرّ للجبال.

ولكن رغم تناهي ما نشاهده ونسمعه من حين لآخر في الغرابة، بحيث لا يمكن أن يصدّق، فليس هو بأعجب ولا أغرب عندي - رغم كثرته وتنوعه - مما بلغني من ترشح نساء من أهل الفضل والمكانة لمناصب سياسية ضمن حملات انتخابية جاهليّة ليست لها خطم ولا أُرْمَة.

فكتبت هذه العجالة امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، ولقوله جل وعلا: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ولغير ذلك

من النصوص المعروفة كتابا وسنة في هذا الباب.

فأقول، وبالله التوفيق:

إن الرجال المسلمين يتوجه إليهم اللوم والذمّ والتوبيخ بحب الرياسة والمزاحمة على المناصب، وحب الظهور والشهرة، والمنافسة على الدنيا، والجشع والحرص على المنافع الآنية الشخصية، والمكاسب المشتبهة، فكيف بالمكاسب المحرمة الصريحة التحريم؟!

ومما لا ينقضى منه العجب أن تزاحم المرأة المسلمة أمثال هؤلاء الرجال فيما ذكرناه! وهي مأمورة بالتستر والحجاب والاحتشام والبعد عن الأجانب، منهية عن الخلوة بهم، والانبساط إليهم في القول، والخروج من البيت ليجدوا ريح عطرها، فضلا عن الاختلاط بهم، وإظهار الزينة والمحاسن لهم، والتبرج أمامهم، وإلقاء الخطب الرنانة بينهم، والظهور في الحشود العظيمة والمجامع المشهودة...!

ومن المعلوم أن النسوة في هذا العصر - إلا من رحم الله - يخرجن في الشوارع والطرق سافرات، متبرجات بزینتهن، لابسات من الثياب ما يشف عن الجسم لرقته، ويحدّد حجم الأعضاء لضيقه، ولا يغطّي كامل البدن لقصره، مع كثرة ألوانه وزخارفه، ويظهرن في الأسواق والأندية والمجامع العامة والقنوات الفضائية في تلك الهيئات والأشكال المنكرة. ولا يخرج هذا الصنف منهن إلا وهن متزينات متضمّخات بالطيب، وأغلبهن يتشهن بالكوافر والفواجر من الممثلات والراقصات ونحوهن.

ولاشك أن كل ما ذكرناه من تبرّج وتكشّف واختلاط وخلوة ومزاحمة للرجال بالمناكب ومنافستهم في المناصب والمكاسب المحرمة والتشبه بهم... معدود في ملة الإسلام من المآثم الغليظة والقبايح المحرمة بالنص والإجماع. فإذا انضاف إلى هذه المنكرات تبذير الأموال الطائلة في الوجوه المحرمة أثناء الحملات الانتخابية، والإسراف في المآكل والمطاعم والمشارب - على عادة أهل هذه البلاد في الأعراس والمآتم وولائم العقيقة - والضرب بالمعازف وآلات الطرب، واجتماع الرجال والنساء تحت الأضواء على الأغاني المحرمة في السهرات الفنية الراقصة، وكلّ قد خرج في زينته، والمبالغة برفع الأصوات بتلك الأغاني والأهازيج التي تتضمن مفاخر زائفة للمرشحين والمرشحات، والنعيق بأسمائهم إلى الفجر، ومنع المؤمنين من الاستغفار بالأسحار، والتشويش على المصلين في أوقات الصلوات، وإزعاج المسلمين بالصخب والضجيج ليلا ونهارا طيلة أيام الحملة ولياليها، وتكبير صور المرشحين والمرشحات، ورفعها على اللافتات دعاية وتعظيما لأصحابها، ونبرّ المخالفين بكل سوء، وخداع العامة بأوصاف للمرشحين مكذوبة ونعوت مافوكة، واستماله الضعفاء ونحوهم بالرشاوى والوعود المعسولة، وشهادة الزور، وقول الزور، وفعل الزور، ونصب الخيام لاجتماع الفساق وأهل الغفلة والمجون، والانشغال عن الصلاة والذكر، وإثارة الأحقاد والإحن، مما يوقع العداوة والبغضاء، ويؤغر الصدور، ويوقد

الفتن النائمة، ويقطع الأرحام، والكذب، والغيبة، والنميمة، والقذف، والخوض في جميع صنوف الباطل مع الخائضين، والتمادي في ذلك الليالي ذوات العدد آمنين مكر الله تعالى... كان ذلك كله ضيغنا على إبالة، وموبقات وجرائم، وقبائح ومنكرات تنضم إلى مثيلاتها.

وكل أحد يعلم أن القبائل والمجموعات تتعاون بكل سخاء في هذه الحملات الشيطانية بدفع المبالغ الباهظة دعما للمرشحين، كما تفعل في الأعراس، و"حفلات" الموت، وقدم الرؤساء ونحوهم، بينما تتوآى عن نواب الحق، فلا تعين فيها، ولا تتحمس لها، ولا تجتمع من أجلها، كقضاء دين الميت، وعلاج المريض، وتخليص السجين، ودعم المشروعات العلمية والأعمال الخيرية...

وترى الواحد منهم إذا دُعي إلى الإسهام في بعض هذه الجوانب، تلکأ، وادّعى الإفلاس وأنه حلت به كل أزمات الدنيا وقوارع الدهر، وأن العالم في ضائقة اقتصادية لم يسبق لها مثل، وأن... وأن...

حتى إذا مات أحد المشاهير، أو حلّ موعد انتخابات، أو زواج، أو حدث أمر دنيوي عارض من أي نوع كان، مما لا علاقة له بنواب الحق، إذا به يقدم "الملايين" وكرائم النوق والذبائح والخيام الفاخرة والفُرش الرائقة بكل سخاء، وإذا بالقبيلة تحتشد، وتجمع الأموال، لا لقضاء دين ميّتها، ولكن ليقال: أعطى فلان كذا، وأعطى بنو فلان كذا مباهاةً وفخرا...

وسندسوق هنا بعض نصوص الكتاب والسنة - على وجه الاختصار - مستدلّين بها على حرمة بعض الأمور المذكورة أعلاه، تاركين الاستدلال على حرمة الباقي لشهرته بين العامة، فضلا عن غيرهم: قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾.

وقال جل من قائل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِزَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقال الإمام مسلم في صحيحه: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا

النَّاسَ وَنِسَاءً كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُّمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ رُّءُوسُهُنَّ كَاسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

وفي سنن النسائي من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فِيهِ زَانِيَةٌ».

وأخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ وبألفاظ مقاربة، وكذا أبو داود في السنن والدارمي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما وغيرهم.

وفي لفظ عند البرار: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ يُوجَدُ رِيحُهَا فِيهِ بِمَنْزِلَةِ الْبَغِيِّ».

وفي حديث عائشة وابن عمرو بن خالد الجهمي وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَلْيَخْرُجْنَ تَفْلَاتٍ». أي غير متطيبات.

وهو حديث حسن صحيح، أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والدارمي وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير والبيهقي في الكبرى والبغوي في شرح السنة بألفاظ متقاربة وغيرهم.

قال البغوي: "هذا حديث صحيح فيه دليل على جواز خروج النساء إلى المساجد، وتخرج غير متطيبة." اهـ (438/3)

وفي صحيح مسلم بالسند المتقدم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا». وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه والترمذي في جامعه وابن ماجه في السنن والدارمي وغيرهم.

وفي سنن أبي داود عن أبي أسيد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال بالنساء في الطريق، فقال: «اسْتَأْخِرْنَ فَلَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَعْلَقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا».

قلت: وهذا الحديث - وإن كان فيه مقال - فقد حسنه العلامة الشيخ الألباني، ولم أسقه على وجه الاعتماد، بل على وجه الاعتضاد.

وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم حين حض النساء على شهود صلاتي الأضحي والفطر، قالت أم عطية: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَانَا لَا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ؟ قَالَ «لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا».

وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ...

الحديث.

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسولَ الله أفرأيتَ الحَمَوَ؟ قال: «الْحَمَوُ الْمَوْتُ». متفق عليه.

والمراد بالحَمَوُ: قريب الزوج من أخ أو ابن أخ أو عمّ، ونحو ذلك. وقوله: الحمو الموت: معناه أن في دخوله على الزوجة الهلاك لما قد ينجّر عنه من مفسدة الزنا واختلاط الأنساب وفساد ذات البين، والرجم. والعياذ بالله. وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يَخْلُونَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا». صححه الترمذى والحاكم وأخرجه ابن حبان في صحيحه والطحاوى في مشكل الآثار والبيهقى وغيرهم.

وفي صحيح البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ». وأخرجه الإمام أحمد في مسنده. وفي لفظ له: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ».

والمترجلة من النساء: هى المتشبهة بالرجال فى اللبسة والهيئة والكلام، والدخول والخروج، والمزاولة لما يختص به الرجال من الأعمال ونحو ذلك.

واللغن: الإبعاد والطرده من رحمة الله تعالى.

فهذه النصوص وغيرها مما تركناه اختصاراً - كما قلنا سابقاً - توجب جميعها على المرأة الحجاب، ولو كانت خارجة إلى الصلاة، وتحرم عليها الاختلاط بالأجانب، حتى ولو كانوا إخوة الزوج أو أقاربه من أى جهة، والتطبيب عند الخروج، ولو إلى المسجد، فكيف بمزاحمة الحشود الهائلة والبروز للجموع الغفيرة على المنصّات لإلقاء الخطب والدعاية للأحزاب السياسية؟!

وفي صحيح البخارى من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشجعى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَجِلُّونَ الْجِرَّ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ».

والمراد باستحلال الجِرِّ: الزنا، وبالمعازف: آلات اللهو والطرب.

ومعلوم أن الاختلاط والتبرج وسماع الموسيقى وحضور السهرات الماجنة والأمسيات الفنية، ونصب الخيام للعصاة والفسقة من أعظم أسباب الزنا وأقرب وسائله.

ولا يمارى فى هذا إلا من طمس الله بصيرته وطبع على قلبه وأركسه فى حمأة الخزى والعار.

ومن قواعد الشرع المقررة أن وسيلة الحرام محرمة.

ومما أجمع عليه علماء الملة أن اقتراف كبيرة واحدة من كبائر الذنوب فِعْلٌ مفسِّقٌ لصاحبه، تنخرم به عدالته، ويرقِّ به دينه، وأنه إن استحل شيئاً مما حرّم الله كفّروا خرج من الإسلام بالكُليّة، رجلاً كان أو امرأة. وقد أجمعوا أيضاً على أن تعلم القرآن - مثلاً - إن كان لا يمكن أن يتم إلا بوسيلة محرمة كالخلوة المحرمة، أو الاختلاط الممنوع، فإنه يسقط فرض تعلّمه عن المرأة البالغة ومَن في حكمها ممن تُشتَمَى من البنات المميّزات.

وهذان الأمران المحظوران - أعني الخلوة المحرمة والاختلاط بالأجانب - لا تنفك عنهما المترشحة، والمناضلة في هذه الأحزاب، بيقين، كما هو معلوم ومشاهد، وهما أخف ما ترتكبانه في هذه الحملات، وأثناء التحضير لها، فضلاً عن طلب المال والدعم من التجار ورجال الأعمال والوجهاء والشباب والأصدقاء، والاتصال بهم ليلاً ونهاراً عبر الجوالات، وصفحات التواصل الاجتماعيّ، بل وفي اللقاءات المباشرة وجهاً لوجه.

فإذا لم يُقبل من المرأة تعلّم القرآن الكريم والخروج إلى المساجد إلا بالضوابط الشرعية المشار إليها، فكيف يسوغ لها الترشح للتشريع من دون الله تعالى، أو للولاية على قوم لن يفلحوا أبداً بدون أيّ ضابط من هذه الضوابط، بل بهذه الموبقات مجتمعةً كلّاً أو جُلاً؟! بل لو فُرض حصولها بدونها مجتمعةً كان وجود واحدة منها مانعاً من جليّة ذلك الأمر باتفاق، لو فرض أنه مباح أصلاً، وهو فرض ما لا يكون.

فنحن نعلم يقيناً أن الديمقراطية الغربية التي بنيت عليها هذه الانتخابات مذهب مناقض للإسلام في الأصول، وقد بينا ذلك في خطب ودروس ومجالس كثيرة.

ومما سنقتصر عليه في هذا المقام المسائل الست الآتية:

1 - أن الحكم فيها للشعب، لا لله عز وجل، فالشعب هو الذي يحكم نفسه بنفسه. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾، ويقول جل من قائل: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ويقول جل وعلا: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾، ويقول: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾.

2 - أن السيادة المطلقة فيها للقانون، لا لشرع الله جل جلاله، وأن الشعب هو مصدر السلطات، بينما السيادة المطلقة عند المسلمين إنما هي لله تعالى ولشريعته، فهي المهيمنة على كل الشرائع، والحاكمة على الناس في كل شيء.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْبَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقال جل جلاله:



﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

3 - أن الاعتبار في الديمقراطية بما عليه الأكثرية، لا بمن معه الحق والصواب، وقد قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَطِعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾...

4 - أن المعيار فيها هو المواطنة، لا الدين، بمعنى أن صوت المواطن اليهودي أو النصراني أو الملحد مساو فيها لصوت المواطن المؤمن العالم الصالح القانت الأواه العارف بالواقع والمصلحة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال جل في علاه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، فلم يُسَوَّ بينهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

5 - أن الحرية فيها متاحة في الاعتقاد والفكر والرأي والكلمة والتصرفات الشخصية على أوسع نطاق ممكن، مما يفسد الدين والأخلاق. والمؤمن مقيد بالشرع وأحكامه وضوابطه، لا يخرج عن عقيدته، ولا فرائضه، ولا ينتهك حرماته، ولا يخلّ بأدابه وفضائله. بل هو متبع، ممتثل للأوامر، واقف عند الحدود، منتهٍ عن كل المنهيات؛ فلا يمكن في مجتمع مسلم أن تتاح حرية التدين أو العلاقات الجنسية أو المعاملات المالية، أو يطلق العنان للألسنة والأقلام - مثلاً - دون ضابط ولا وازع، أو أن تفتح أبواب الحريات على مصاريعها، في حين أن هذه الحريات من ضروريات الديمقراطية ولوازمها ومن أصول "الحقوق الأساسية" التي تكفلها لمن يدينون بشرعتها.

فمن ألغى واحدة منها خرج من دين الديمقراطية، ومن أتاح الحرية المطلقة في واحدة منها خرج من دين رب السماوات والأرض.

6 - أن المساواة فيها بين المرأة والرجل متحققة من كل وجه، وأن لا قِوامة له عليها، والله عز وجل يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. ويقول سبحانه:

﴿وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ﴾.

فإذا كانت تلك الكبائر الشنيعة التي ألمعنا إلى بعضها، لا يسوّغ ارتكاب واحدة منها فعل واجب، فكيف يسوّغ ارتكابها مجتمعةً فعل محرّم من كل وجه، بل مكفّر لمعتقده ومنفّذه؟

وليس معنى هذا أن كل من دخل في منظومة الديمقراطية كافر، لما عليه العامة من الجهل، ولما يتدّرع به بعض المتعلمين من التأويل، وعدم وضوح الرؤية في زعمهم.

بل نقول: إن ذلك المذهب في حد ذاته مذهب كفرى قطعاً، وإن من اقتصر منه على مجرد التصويت دون أن يعتقد شيئاً من مبادئه المناقضة للإسلام، ودون أن يسعى إلى تنفيذها فهو على ما كان عليه من الإسلام. وكذلك من أفتاه بعض أهل العلم بالمشاركة دون أن يعتقد أو ينفذ شيئاً مما ذكر.

لكن من عرف حقيقة المذهب ورضى وتابع!

ونحن نعلم أن كثيراً من الناس لا يعلمون حقيقة الديمقراطية، حتى من المثقفين والمسؤولين، فضلاً عن غيرهم، وأن كثيراً ممن يخوضون في حمايتها لا يدركون خطراً لآلتها، ولا حجم مناقضتها للإسلام.

كما أن طائفة كبيرة من هؤلاء الخائضين تبحث من خلالها عن المال والمنصب والمكانة والشهرة.

وأود أن أقول إن طلب الشهرة مذموم في الشرع، وإن الولايات حسرة وندامة يوم القيامة. وليس من الأخلاق والآداب أن تسعى المرأة إلى الشهرة وتعاطى ما لا يليق بطبيعتها من الأعمال.

وأما الرزق فإنه مضمون، والله عز وجل إنما خلق الثقلين لعبادته، واستعمرهم في الأرض لطاعته، والعمل بشرعه، ووعدهم - إن أطاعوه - بالحياة الطيبة في الدنيا، والسعادة الأبدية في الآخرة، مع تكفله سبحانه بأرزاق البر منهم والفاجر تفضلاً منه ورحمة. وقد كتب الأرزاق ونسخ الآجال في اللوح المحفوظ؛ فلا ينال العبد منها إلا ما قُسم له في الأزل.

وهذه الأرزاق بيد الله عز وجل، ليست بيد أحد من المخلوقين كائننا من كان. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وقال سبحانه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقال جل من قائل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾...

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ».

فلذلك أمر العباد بابتغاء الرزق منه جل وعلا، فقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

فلا يتم إيمان العبد حتى يوقن أن ما قُسم له من الرزق لن يخطئه، وأن ما لم يُقسم له لن يصل إليه بحال من الأحوال، كسائر الأمور المقضية المقدرة.

ومع ذلك فعليه أن يسعى في تدبير أمر معاشه، سعياً مقروناً بالإحسان والإجمال في طلب الرزق، وذلك لا يكون إلا بالوسائل المشروعة، والطرق المباحة في الملة. فالسعى مطلوب، والتكسب المباح محمود، وهو من تمام التوكل، وكمال الإيمان بالقضاء والقدر، فالأخذ بالأسباب المأذون فيها شرعاً لا ينافي التوكل ولا الزهد في الدنيا. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقد أخطأ في هذا الباب فريقان مفرط ومفرط.

أما المفرط: فهو الذي عمّر قلبه بحب الدنيا وزينتها، وشغل وقته بالبحث عن المال بكل وسيلة، لاهثاً وراء سراب الجاه والمنصب والمكانة عند أهل الدنيا، بالتملق لهم والركون إليهم، والتذلل لديهم، مستنفداً عمره في ذلك، قد أخذت الدنيا بمجامع قلبه، واستولت على عقله ومشاعره، وملأت أقطار نفسه، فهو يجمع المال من أيّ وجه اتفق له، وبكل حيلة قدر عليها، من ربا أو رشوة أو غلول أو سرقة أو احتيال، أو مكسب، أو حُلوان يأخذه كاهن، أو مهر تأخذه بغى، أو ثمن مزمارة أو خمر، أو تجسس، أو أكل مال يتيم، أو غصب أو نَعْدٍ، أو خيانة وغشٍ... أو غير ذلك من المكاسب الخبيثة؛

قد غفل عن آخرته التي يقطع بالسير الحثيث المراحل إليها مع كل لحظة من لحظاته المحدودة وأنفاسه المحدودة، واتخذ مصيره المحتوم وراءه ظهرياً يظن أن ماله أخذه، وأن ما اكتسبه من مجد زائف وشهرة بالباطل والجمع والإيعاء يغني عنه من الله شيئاً! ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾؛

لم يستخلص عبرة من دنياه، مع كثرة ما شاهد من فجأة الموت لمشاهير أهل الدنيا، وزوال ملكهم وأهبتهم وهم في أوج العز والسلطان؛ لا يعرفه أحد بالتقوى والورع، ولا يذكره أحد بالإنباء والإخبارات والصدق مع الله والاستغفار بذكره وتعلم شرعه والعمل به والدعوة إليه، بل لا يُعرف إلا بمخالفته ومحادثته والاستكبار عن

الحق، والاستخفاف بالدين والعلم، والاستنكاف عن النصيح، والسخرية من الناصحين...

ففى هذا الصنف يردُّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاؤَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَطْفٌ نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾، وقوله سبحانه: ﴿سَاصْرِفْ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾...

ومن كان دون هؤلاء فى استكمال خصال البشر، فلم يكن على هذه الشاكلة من كل وجه، بل قامت شهرته على الغفلة واللغو واقتراف المعاصى، لا على البر والتقوى والعلم والصلاح، فقد يوجد فيه وفى أضرابه من العصاة بقية من خير ودين وخلق أحيانا.

وأما المفرط: فهو الذى لا يتكسب لدنياه، ولا يمشى فى مناكب الأرض يبتغى من فضل الله، ولا يزاوِل الصنائع والجرف، ولا يسعى فى مَرَمَّة معاشه بالمال الحلال؛

فيلزم زوايا المساجد أو يعمد إلى المغارات والكهوف برسم السياحة فى الأرض منتظرا أن تمطر السماء فضة أو ذهباً، أو يخادع العامة والدهماء عن أموالهم عن طريق السحر والشعوذة والكهانة، والاحتيال، وكتب التمام والتعاويد ورسم الطلاسم والأوفاق، أو ادعاء معرفة الغيب والولاية والصلاح، أو التصدر باسم الدين والتشبه بالنسك وأهل الزهادة والورع - وهو فى الغالب لصّ محترف - أو يداهن الحكام، ويصانعهم بالفتاوى الباطلة، والكذب على الله سبحانه...

ففى مثل هؤلاء يردُّ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقوله جل من قائل: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾...

والحق فى هذا الباب مع أهل القصد والاعتدال من المؤمنين الصادقين، أهل التقوى والمعرفة بالله جل جلاله، فهم يعملون للآخرة التى يوقنون أنهم إليها صائرون، ويأخذون من الدنيا ما يكون لهم قواماً وبلاغاً إلى حين، لأن الدنيا مطية الآخرة، فهى مغبر لا مقرّ، فهم يتمتعون من حلالها الطيب بما ينفعهم فى دنياهم ويعينهم على آخرهم، ولا يشتغلون بزخرفها وزينتها، والتعلق بأهلها، بل يكرهون التوسع فيها، ويستوحشون من أهلها المتمحضين لها.

ومن وجد منهم سعة وبسطة في متاعها الذي اكتسبه من جلّه لم يركن إليه بقلبه وإن أحرزته يداه، بل يجتهد في التخلص منه بإنفاقه في سبل الخير ليلا ونهارا، سرا وجهارا، كحال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما، ومن انتحى سَمْتَهُما قديما وحديثا من المحسنين.

ومع وجوب الأخذ بالأسباب المباحة تارة واستحبابها تارة أخرى فإن التقوى من أعظم أسباب الرزق، وتيسر الأمور، وانفراج الشدائد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

ومن كان حاله على ما وصفت من الإيمان والتقوى والقصد في الدنيا، اطمأنت نفسه، وارتاح قلبه، وهذا باله، وسعد في حياته، لثقتة بالله تعالى وإيثاره له على كل ما سواه؛ فقد كان بعض السلف يقول: "لو علم ملوك الدنيا ما نحن فيه من نعيم القلب وراحة البال لجالدونا عليه بالسيوف". أو كما قال.

ولذلك لا ترى أحدا ممن هذه حاله معلق القلب بكبراء أهل الدنيا وما عندهم من الرياش والزينة والأموال، فلا تراه يسأل عن أخبارهم، أو يحرص على لقياهم، أو ينافس الناس في شيء من المناصب الدنيوية، أو يتكالب معهم على حطامها الزائل، لأنها وأهلها في عينه كما قال الشافعي رحمه الله تعالى:

وما هي إلا جيفةٌ مستحيلةٌ عليها كلابٌ همُّهنَّ اجتذابُها  
فإن تجتنِبَها كنتَ سلما لأهلها وإن تجتذبِها نازعتك كلابُها

ومن كان متسما بدين أو منسوبا إلى علم، وكان على خلاف هذه النعوت والأوصاف كُلِّها أو جلِّها، فإنما ذلك من نقص في إيمانه وضعف في تربيته، أو فساد في نيته، ودخل في قلبه. والعياذ بالله.

وصفوة القول أن هذه الحملات الانتخابية محرمة جملة وتفصيلا، وأن السعى إلى إقامة دولة مدنية علمانية لا تحكم الشرع كفر ناقل عن الملة، وأن حضور النساء على أي وجه من الوجوه المذكورة في هذا المسطور محرم غاية التحريم، فضلا عن ترشحن وتروسهن للمهرجانات، وبروزهن كاسيات عاريات، أمام الحشود وأجهزة التصوير والتسجيل.

فنصيحتي للمتشرحات والمشاركات ولسائر المسلمات أن يتعدن عن هذه القاذورات، وأن يُقلعن فورا عن هذه المحرمات، ويتبنن توبة نصوحا قبل بَغت الممات، وأن يُطعن الله ورسوله بترك التبرُّج والاختلاط بالأجانب والخلو بهم، والخوض مع الخائضين في السياسات العمياء المبنية على حكم الجاهلية الجاهلاء... إلى غير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه في هذه العجالة.

وما حملني على إسداء النصيح لَكُنَّ - أخواتي الكريمات - إلا الحبُّ والإشفاق والخوف عليكن من عذاب الله،

مع ما تقدم من واجب الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.  
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.  
كتبه إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيدى حفظه الله تعالى ووفقه لما يحبه ويرضاه وسائر المسلمين  
بنواكشوط غرة شهر الله المحرم من عام 1435 هـ 2013/11/3 م.